برجي / جمال صدقي

طبول على ضفاف البحيرات

مغامرات الإنسان المصورة



دار الشروق

الناشر

دار الشروق

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية مدينة نصر - ص. ب. ٣٣ البانوراما
تليفون: ٤٠٢٣٣٩٩ (٢٠٢) / فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
بيروت : ص. ب. ٨٠٦٤ تليفون: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ (٩٦١١) فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٩٦١١)

صدر هذا الكتاب بالتعاون مع
اللجنة الدولية للصليب الأحمر
المكتب الإقليمي للإعلام والنشر، القاهرة

تصميم الكتاب والغلاف: محيي الدين اللباد

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية بالقاهرة: ١٥٧٦٥ / ٩٩
الترقيم الدولي ISBN 977 - 09 - 0579 - 8

رسوم

برجي

سيناريو : جمال صدقي

طُبول على
ضفاف البُحيْرات

تقديم

ظهر فن الشرائط المرسومة في أوائل القرن التاسع عشر. وكانت بداياته أعمالا بسيطة لا تخلو من سذاجة: قصة تم تقطيعها إلى عدد من المشاهد المرسومة، وتحت كل مشهد منها، نص مكتوب يحكي ما يجرى وما يفسره الرسم.

ويمرور الأيام، راكم فن الشرائط المرسومة خبرات عديدة اكتسبها من غيره من الفنون، وبالذات من فنون السينما (التصوير، والتقطيع، والسيناريو، والحوار). ولم يعد فن الشريط متوجهًا إلى الصغار وحدهم، بل أصبح للمراهقين، بل والبالغين. وصارت الشرائط المرسومة فنًّا يُدرّس، وأدباً يُنقد. وأصبحت له محافل دورية دولية، ومؤتمرات علمية، كما ظهر له نقاد ومؤرخون، ومتاحف ومراكز لدراسته.

وقد فن الشرائط المرسومة إلى بلادنا العربية في الربع الأول من القرن العشرين، واستقبل -منذ البداية- استقبالاً حسنًا، وتعلق به القراء الصغار. وبدأ الأمر بترجمة نصوص صفحاته الأجنبية، ثم -فيما بعد- عُرّبت الأشخاص والمناظر، فاستبدلت القبعات بالطرابيش، والملابس الأوربية بالجلابيب، وأضيف إلى المناظر الخلفية بعض النخيل والمآذن.

ازدهر هذا الفن في عدد من البلدان العربية، ومن بين تلك البلدان كانت «الجزائر» (موطن «**برجي**» رسام هذا الألبوم). ولأن اتصال الجزائر بالثقافة الفرنسية كان قويًا، تابع المراهقون والشباب الجزائريون مجلات الشرائط المرسومة وكتبها في أصولها الفرنسية، وكانت تلك مطبوعات واسعة الانتشار في أنحاء الجزائر.

وصل فن الشرائط المرسومة الأوروبي قمة عالية بعد الحرب العالمية الثانية، كانت علامتها صدور مجلتا «**تان-تان**» و«**سبيرو**» المنشورتين بالفرنسية في بلجيكا عام ١٩٤٦. أما القمة الثانية فكانت عام ١٩٦٠، حين تأسست مجلة «بيلوت» الفرنسية لتكرّس جيلاً جديداً من المبدعين الشباب أتوا بمفهوم جديد لفن الشريط المرسوم، وبتناول جديد، وبحرفيات جديدة. كان المؤسس هو عرّاب هؤلاء، ومفكرهم كاتب السيناريو الفرنسي «**غوسيني**» (١٩٢٩-١٩٧٧) مخترع شخصيات «**أستريكس**» وزملائه، والذي فتح الباب على مصراعيه أمام عدد من شباب الرسامين والكتاب، صاروا -فيما بعد- الجيل الجديد الذي نهض بفن الشرائط المرسومة الحديثة، وجعل منها مادة للكبار البالغين والمراهقين، وللصبية والصبايا أيضاً. ابتهج الكبار بما أضاف إلى الصفحات من خيال حر وفكاهة عبثية وطفولة، مثلما انبسط الصغار بما وجدوه فيها من تناول جاد لحقائق الحياة والمجتمع ومن احترام لعقولهم. وتابع هواة الشريط المرسوم من المراهقين

والشباب الجزائريين أعمال الفنانين الناطقين بالفرنسية في كل من القمتين التاريخيتين، واستوعبوا منها دروساً قيمة.

نالت الجزائر استقلالها عام ١٩٦٢، وشرعت في تأسيس مؤسساتها الوطنية التي كانت من بينها الدار الوطنية لنشر الكتب. وحول هذه الدار، تحلق عدد من الشباب الذين وقعوا أسرى غرامهم بفن الشرائط المرسومة. جمعتهم الدار الوليدة فيما يشبه الدورة التدريبية الطويلة، ووفرت لهم أستاذاً شاباً صاحب تجربة عملية وعميقة في الفن الذي وقعوا في هواه: الرسام البرتغالي«**كاپينا**»، ومعه تقدم مواطنهم المخرج السينمائي «**الأمين مرباح**» لينقل إلى هؤلاء الشباب ما يعرفه من أسرار فنون السينما: السيناريو والتقطيع وتكوين اللقطات والإطارات والحوار.

خلق هذا الإعداد جيلاً من الرسامين/كتاب السيناريو، وسرعان ما أنشأ هؤلاء مجلاتهم، ونشروا كتبهم، وروّجوا لهذا الفن الحديث بين الصغار والكبار. وأصبحت صفحات هذا الفن الشاب ميداناً لتناول سائر الموضوعات الحيوية في البلاد، وحقائق التاريخ والحياة المعاصرة وصراعاتها. وامتلك عدد من الرسامين الجزائريين الشباب ناصية مهنة فن الشرائط المرسومة، التي تعلموها «على الأصول».

ومن هذا الجيل، كان الرسام الجزائري ابن مدينة وهران «**برجي**» (الاسم المستعار **لجمال سي العربي**) الذي رسم العمل الذي تضمه دفتي هذا الكتاب. وهو رسام وكاتب للشرائط المرسومة، ورسام كاريكاتور، كما يعمل أيضاً صحفياً ومترجماً للأدب.

وفي عمله «**طبول على ضفاف البحيرات**»، يقدم لنا «**برجي**» قصة تبدأ في مركب شراعي يتهادى على صفحة بحيرة ناصر في أسوان مصر، حاملاً البحارين المصريين الصغيرين «شندي» و«سليم»، ومعهما الصغيران الأوروبيان «مارك» و «ماري»، في نزهة عند الغروب. وسرعان ما تتحول تلك النزهة الهادئة إلى صخب وحركة وتشويق، وتختلط فيها صيحات حيوانات الغاب من سباع وخراتيت وضباع وغزلان وقردة متوحشة، بصرخات المجرمين والخارجين على القوانين، بقعقعة الأسلحة وانفجارات القذائف، بهدير موجات اللاجئين الفارين من المجازر وأعمال العنف والاشتباكات المسلحة والمجاعات. وترد في الصفحات أحاديث عن رواندا وبورندي والسودان والصومال وأوغندا وزائير واريتريا وليبريا وسيراليون وكينيا. وهكذا يتذكر القارئ/المتفرج صراعات وحروب محلية شرسة لا تزال تحصد مئات الألوف وتشرد الملايين، بينما نسيها العالم وأهملها، وتوقف عن متابعة أخبارها.

وفضلاً عن التشويق وحسن الأداء والسيناريو الذي لا يترك للرتابة فرصة للاقتراب ولا للملل وسيلة

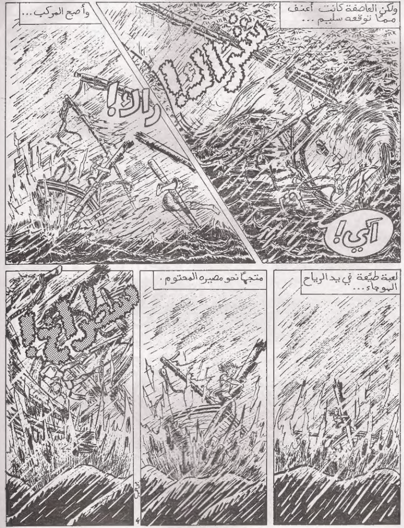
للتسلل، والإحكام والإتقان في التعبير، واعتماد توثيق المعلومات والرسوم - فضلاً عن كل هذا، سيعرف قارئ هذا الكتاب (صغيراً كان أم مراهقاً) كثيراً من حقائق عالم اليوم الصادمة والمؤلمة، وهي الحقائق التي سوف يتعامل معها ويتصدى لها هذا القارئ الصغير، عندما سيصبح -عما قريب- في عُمر المسؤولية وفي موقع اتخاذ القرار.

« محيي الدين اللباد »


كانت الشمس في طريقها إلى الغروب في أبو سمبل على ضفاف بحيرة ناصر..
لا تبتعدوا كثيرا ولا تتأخروا .
لا تخش شيئا يامستر هوبكنس فشندي وسليم بحارة مهرة رغم صغرهما وهما يحفظان بحيرة ناصر جيدا .
أعرف ذلك... لكننا سننهض غدا مبكرا فأمامنا رحلة طويلة اكما أن بولا سوف تقلق على ابنتها ماري
تعالي ياماري، لا تذهبي إلى هناك، فهذا خطر عليك
لا تخشى شيئا، فأنا سباحة ماهرة .
ولكن مياه بحيرة ناصر مختلفة. وربما صادفك تمساح...
تمساح؟!
وربما تنين أيضا! هاها هاها!!
ماذا يفعل هؤلاء المجانين ؟!


هكذا يمكننا أن نقطع مسافة كبيرة في وقت قصير. فالوقت المتاح لنا ضيق.
ولكن الريح قوية يا مارك. هذا خطر. ما كان يجب أن يطاوعك شندي
إنتبه يا سليم!!
أرأيتم ما كنت أعنيه؟!
لقد أمسكت به !!
ساعده في الرباط يا مارك !!..
كراك!
ماهذا؟!
لقد انقطع أحد الحبال التي تشد الصاري!


سأصعد لربط العائق وإلا تخلخل الصاري تحت ضغط الشراع
هناك عاصفة شديدة قادمة! لمّوا الشراع بسرعة!!!
وماهي إلا دقائق...
ملرك!... شندي!... أدركوني!!!
تماسكي يا ماري!... أنا قادم!!
آه!... إنزل بسرعة ياسليم!
تجمّعوا وتماسكوا جيّدًا... فالأعنف مايزال قادمًا!!!


ولكن العاصفة كانت أعنف مما توقعه سليم ...
آي!
وأصبح المركب...
لعبة طيّعة في يد الرياح الهوجاء...
متجهاً نحو مصيره المحتوم.



إلحقوني أغيثوني... تمساح، النجدة.. تمساح... تمساح!!!
نحن قادمون!!
لا تخافي ياماري، ليس هناك تماسيح... أنا قادم إليك.
إنه قادم... التنين!!!...
قد هدأت العاصفة وصراخك هذا سيوقظ
غريب، لقد توقفت العاصفة تماما إنني أسمع شيئا قادما
ألم أقل لكم؟! إنه التنين!!!
كفى عن الصراخ... إننا لا نرى فدعينا نسمع!!
الصوت يقترب ليس تنينا ياماري! إنه...


النجدة!!
أغيثونا!!
إرفعوها قليلا يا أولاد!!
ما الذي أخرجكم في هذا الجو العاصف؟
لقد بدأت العاصفة فور أن خرجنا وانتهت بعد أن حطمت قاربنا.
إذن فالعاصفة كانت تقصدكم.. ياله من حظ ...
حظي أنا طبعا...
قل لهادي أن يحضر عشاء فلدينا ضيوف.
لا شـ.. شكرا، ولكن إذا استطعت أن توصلنا إلى أقرب مكان...
لا... لا يمكن، فنحن في منتصف البحيرة، والظلام دامس وليس لدي وقت
ولكن ماذا سنفعل الآن يا مارك؟ أمي ستقلق كثيرا


وفي نفس الوقت في بيت جبر...
شاي أخضر بالنعناع!
لبحث عنهم.
هذه المرة... أرجو ألا
نهم مكروه بسبب
ما في البحيرة فهناك عاصفة
خرى سوف تهب.
ماذا؟... ضيوف؟
أيّ ضيوف؟!
لن أسمح له هذه المرة...
ماذا ستفعل؟
سأفعل أيّ شيء
أخرجهم من هنا.
لا تتهوّر يا هادي...
يجب أن أمنعه
بأيّ شكل.
تمنع من؟
!؟


هؤلاء أطفال يجب أن يخرجوا من هنا حالاً.
أتريد أن تلقي بهم في الماء ؟ أليس لك قلب؟ خذ منه السكين يا بِشر واصعد لتخبر الرجال.
ماذا يحدث هنا ؟
هه؟!
اخرجوا من هنا فوراً!!
أي!
امسك هؤلاء الأطفال واحبسهم في المخزن!!
ولا حركة! ارفعوا أيديكم جميعاً.
؟!


كان بودنا أن نقدم لكم عشاء، لكن هادي رفض كما تعلمون
لن تفلت بفعلتك هذه
لن تفلت... فكل القوانين محلية ودولية تحرم خطف الأطفال
تحياتي لكل القوانين وخصوصاً الدولية.
إذا احتجتم لشيء، فوّاز سوف يكون عند الباب في خدمتكم.
ماذا سيفعلون بنا ياعم هادي؟
لا أعلم أي شيء حتى عن مصيري
أمي ستموت من القلق.
ماذا سنفعل الآن؟
أنت الذي أوقعتنا في كل هذا.
دعنا من هذا الآن، ولنفكر كيف نتخلص من هذا المأزق.
وماذا سنفعل في هادي؟ ينبغي أن نتخلص منه
هادي له تاريخ يمنعه من الاقتراب من أية سلطات
ولكنه قد يتهور.
دعوه لي. أعرف كيف سأعالج الأمر معه


ومع فجر اليوم التالي...
هذا حطام مركبهم!!
يا إلهي، لقد غرقوا جميعا!!
تماسكي يا بولا أرجوكي. ليس هذا وقت البكاء
اللهمّ سترك.
قلبي يحدثني أنهم بخير ولم يغرقوا.
لا بدّ من إبلاغ السلطات فورا!!
سأعطي إشارة استغاثة أولا كل القرية ستخرج للبحث عنهم وسيبلغون السلطات
ومرت الساعات ولكن، طبعا، لا أثر للمفقودين...
قلبي لازال يحدثني أنهم في مكان م


وبعيداً في اتجاه الجنوب...
يبدو أن عابد قد وصل مبكراً. إعطه إشارة
غانم ينتظرنا. قل لنواز أن يذهب إلى الشاطئ.
وفي قاع الصندل...
لقد هدأت المحركات وغيروا اتجاههم
يبدو أنهم سيتوقفون
ماذا يفعل هذا المجنون؟ لماذا يأتي إلى الشاطئ؟
لماذا أتيت للشاطئ يا ريس عابد؟
معي بضاعة تحتّم الإقتراب من الشاطئ. هل أنت جاهز؟


وبعد دقائق...
وماذا أفعل بهادي هذا؟
نتخلص منه في الأحراش والوحوش ستتكفل به.
هذه الصناديق تحتوي على أسلحة تأتي بها سفن من البحر الأحمر وتدخل ضمن صناديق الأسماك، ثم تحمل إلى هنا وتسرب لمناطق الصراع في إفريقيا والبعض منها يغذي الحركات الإرهابية
ماذا سيفعلون بنا؟
إلى أين يأخذوننا؟
ما في هذه الصناديق التي نقلوها معنا؟
ماذا؟ سلاح!!؟ وما دخلنا في ذلك؟
هل سيبيعوننا؟
يبيعوننا؟ نحن؟ كيف؟
في كثير من مناطق العالم يتم خطف الأطفال وبيعهم لاستخدامهم في أغراض مختلفة
ماذا تقول؟
للأسف إنها تجارة كبيرة اليوم وهناك شبكات ضخمة لتهريب الأطفال عبر العالم كله.
عبيد؟! مستحيل، لا بد أن نهرب!!



وبعد يومين دون توقف...
لقد اقتربنا، سنتوقف هنا
عاد لا يتخلص من رجل يمكن أن ينفعه بأيّ شكل. خذ معك سلاحك ولكن لا تطلق النار، لا نريد لفت الإنتباه
هل ستقتلني يا بادو؟
الوحوش ستتكفل بذلك!!
أين أخذوه؟ وأين سيأخذوننا؟
إطمئن، لن يمسونا بسوء حتى نصل.
إذا كانوا قد آذوه سوف أجعلهم يدفعون الثمن
أيّ ثمن؟ لنخلّص أنفسنا أولاً ثم نفكر في الإنتقام.
وبعد حين...
لقد وصلنا. إعط الإشارة.
لا، سأتوجه للجنوب مع بضاعة أخرى أريد تسليمها
وفي مكان آخر


وبعد حين على الحدود بين عدة دول إفريقية.
سنتوقف هنا ونسير إلى المعسكر على الأقدام
لا... هذه بضاعة جيدة، وهي ليست ملكي. ستة آلاف دولار لا يقلون سنتا
اعطه مايريد
كل هؤلاء الأطفال؟!
لقد ضعنا إلى الأبد!!
معسكر رهيب وقذر...
تعالوا... سنوزعكم على الخيام
لا... سنكون كلنا مع بعضنا البعض
يجب على الأقل فصل الفتاة عن الفتيان.
لا!... لن أتركهم!!
حسنًا، لكن لا تحاولوا التفكير في الهرب، فالوحوش من حولكم في كل مكان
وفي مكان آخر
هذه هي كل حكايتي. هل ستساعدني للحاق بهم؟


بعد ساعات ..
إسمي ماسيمبا من أوغندا.
وأنا أموكاشي من رواندا.
يا إلهي... كيف تم جمعكم في هذا المكان؟
إنها الحرب يا صديقي، إنهم يختلفون في كل شيء إلا القتل وخطف الأطفال.
ألم تحاولوا الهرب؟
هذه المنطقة فيها أكثر من عشر جيوش تخوض حرب عصابات.. هل تعرفين معنى ذلك؟
معناه أن القتل العشوائي في كل شبر. ومن ينجو من الرصاص والعبودية لن ينجو من الحيوانات البرية.
وإلى أين نهرب؟ لقد دمرت الحرب كل شيء. فلا أهل، ولا بيوت ولا طعام.
ومع ذلك فهناك العشرات يحاولون الهرب كل يوم. أنا حاولت وسأحاول.
ونحن أيضا سنهرب من هنا مهما حدث
وغير بعيد عن المعسكر...
خخ!!!



وبعد لحظات.
الحقونا..!! هناك تسلل..قتل الحارس سامبو!!
طاخ طاخ طاخ طاخ طط ططا بانج بانج!
من هنا!!
احرسوا مخزن السلاح!!
الزموا الخيام!!
ما هذا؟ ماذا حدث؟!!
يبدو أن جيشا ما هاجم المعسكر.
إممم...
عم هادي!!
نادي على الباقين بسرعة
بسست.. مارك...ماري ...سليم...
!؟
هناك أحد الحراس قادم وراءهم.
آخ!
كيف سنهرب من هنا؟
أنا أعرف الطريق اتبعوني
لقد فر كثيرون... اركبوا السيارات وطاردوهم. لا تدعوا واحدا يفر حيا.


لم أعد أرى شيئاً.
تشجعي سنرتاح بعد قليل
وبعد وقت
يمكننا أن نرتاح هنا، ولكن لابد أن نشعل ناراً، فالضوء سيبدأ في البحث عن فرائسه
ولكن يمكن أن يرانا أحد أولئك الأوغاد.
لا تنزعج، يمكنني أن أتصرف.
ولكن هل أنت متأكد أنهم لن يطاردوننا إلى هنا؟
إطمئن فقد تجاوزنا أحد خطوط القتال الذي لا يمكنهم تجاوزه بسياراتهم. كما أنهم لا يعرفون هذه المنطقة مثلي.
الجميع وأنا سأحرسكم.
لا فلنتبادل الحراسة
لا أظن أن أحداً منا سوف ينام. فلتحك لنا كيف نجوت من بادو ياعم هادي
حسناً سأحكي لكم.
أسمع صوتاً بين الأشجار


استمروا كما أنتم. سأذهب
من هناك.
هناك من يتلصص علينا. سأباغته.
وبعد لحظات ...
ارفع يديك ولا تتحرك!! التفت بهدوء، بهدوء...
كلا؟!
تعرفين الأصدقاء
نعم... شاهدتهم في المعسكر
لقد ظننت أنكم من الجماعات المتحاربة، فقد شاهدت منهم كثيرين في طريقي
أين؟
قريب من هنا
إذن علينا نرحل مبكر
ومع أول ضوء الشمس...
لينهض الجميع، لابد أن نرحل بسرعة
لا بد من إزالة أي أثر حتى لا يتبعنا أحد.
أرجو ألا نقع بين الخطوط


وبعد وقت من السير لشاق عبر الأحراش.
ما هذا؟ أمر عجيب!
ماذا؟ هل ضللنا الطريق؟
لا ولكن ظننت أن الحرب هدمته وكنت أخطط لعبور النهر من منطقة أخرى.
سأعبر أنا أولا.
أمر عجيب. مازال في حالة جيدة.
تقدّموا واحداً واحداً ولكن بحذر.



* قردة من فصيل البابون تتميز بألوان زرقاء وحمراء على وجه الذكور البالغين



ولع! ولع! كا! كا!
جرررر!!
جروااااار!!
واع! ولع! ولع!
!؟
واووووو باجووا!!
هوا! هوا! هوا!
تراجعوا أيها الأوغاد!!
لا تخافو ولا تحزنوا، ولتقدهم
يا هادي نحو السلام
أنا؟ كيف؟
فلتتبع قلبك الطيب الذي أحببتهم به


هذا الرجل يهذي ولا شك.
إنني لا أعرف هنا يميني من يساري.
يكفي انه أنقذنا. ولكنه كيف عرف إسمك يا عم هادي؟
هو الذي انقذني عندما كان مغمى علي في الأحراش وهو الذي قادني إلى مكان احتجازكم.
غريبة!!.. لقد اختفى كما ظهر. فجأة.
لقد ضيعنا الوقت بما فيه الكفاية. هيا بنا...
إلى أين؟
إلى حيث نخرج من هنا
سنسير في هذا الاتجاه.
نعم؟ وماذا تعرف يا عم هادي عن الإتجاهات هنا؟ هيا بنا. أنا الذي يقود المسيرة.
!
ولكن قلبي يحدثني أن نسير في هذا الإتجاه...
وواصلت المجموعة الصغيرة مسيرتها بقيادة ماسيمبا...
وفجأة...
راك!راك!رطاطاطا!
!!
بلاوم!


راك! راك!
انبطحوا كلكم!!
هل أصيب أحد؟!
آه...آه...آه...!!
لقد أصيبت كالا!!
إصابتها خطرة!!
ماذا سنفعل الآن؟
لا بدّ أن نحملها إلى مستشفى
وأين نجده هنا؟
ألم أقل لكم؟ ليتنا ماطا وعنا ماسيمبا.


وهل تعرف طريقا إلى مستشفى؟
لا...
أما أنا فأعرف. هيا بنا.
اسرعوا... إن حالتها خطرة!!
وبعد قليل...
لماذا توقفت؟ ماذا هناك؟
هشش... سأذهب لألقي نظرة وأعود سريعا.
يا إلهي!... ماذا يجري هنا؟!


يبدو أنهم راحلون!
لا بد وأن ألحق بهم بأي ثمن...
لا بد من
كالا...
نعم سننقل هذا المستشفى الميداني لمنطقه أخرى. لقد سبقني زملائي إلى هناك لعلاج جرحى المعارك الشديدة.
وأنا هنا أشرف على نقل ماتبقي من المستشفى وستأتي سيارة لتقلنا بعد قليل
ولكن لدينا طفلة مصابة!!
فلتحضروها بسرعة. ولكن إذا كانت إصابتها شديدة لن أستطيع عمل شيء. فكل المعدّات رحلت مع الزملاء.
بسرعة... لا بد من إنقاذ كالا بأي ثمن...
وبعد وقت...
لقد أحسنتم بصنع هذه المحفّة. إنها تسهل الحركة وتخفف الآلام.
المهم الآن إنقاذها بأي شكل...


للأسف إصابتها سيئة، لا بد من نقلها لمستشفى لوبيدينج بسرعة.
مستشفى لوبيدينج قريب من هنا، أقامه الصليب الأحمر في جنوب كينيا لعلاج مصابي الحروب في كل هذه المنطقة.
وكيف نصل إليه؟
هناك مونوسيكل مخبأ بين الأشجار كي لا يطمع فيه المسلحون
إنتظروا... هناك حركة قريبة.
هذا ما كنت أخشاه...
ماذا هناك؟
هناك مسلحون يتسللون إلى هنا وكأنهم ينوون الهجوم علينا
ماذا؟ وهل سيهاجمون خيمة عليها شارة الصليب الأحمر؟!
ممكن... فهناك الآن من لا يحترم شارات المنظمات الإنسانية
الآن فهمت ما قاله الحكيم صاحب الأسد...
ماذا تعني؟
ستحملون كالا وتنطلقون إلى الموتوسيكل بأقصى سرعة وسأبقى أنا هنا لأغطيكم.
سأبقى معك.


ماسيمبا.. عندما أشير إليك انطلق بأقصى سرعة
رطططا!
رططططا!
الآن! اجْرِ!!
رطططا!! راك! راك!
بسرعة!! اسرعا!!!
راك! راك! راك!
تحركوا أنتم أيضا قبل أن يأتوا !!
مسكينة كالا... أرجو أن تنجو. فهي الوحيدة الباقية من عائلتها.
وماذا سنفعل الآن؟
لا شيء... سنجري ونجري فقط. فقد وصلوا إلينا
رطططططا! طاطا! راك! طاطا!
راك! راك! راك!
اتبعوني!!...


وبعد وقت...
آه.. يمكننا... أن... أن.. نستريح هنا..
وأين... نحن... الآن؟
حقيقة لا أعلم. لقد... تعمّدت تضليلهم حتى ضللت نفسي
وحلّ الليل...
مالك يا عم هادي؟ فيم تفكر؟
في مصيرنا الأسود بالطبع.
بل في حياتي الماضية.. لقد نبّهتني الأيام القليلة الماضية إلى أشياء كثيرة.
لا أعرف إذا كنتم ستفهمونني أم لا... فأنا نادم على أشياء كثيرة فعلتها.. وعلى أشياء لم أفعلها...
يبدو أن عم هادي تعلم الحكمة.
لا تسخر منه يا شندي!
نعم لا تسخر مني يا ولدي، فأنت لا تعرف ما مررت به.
آسف.. لم أقصد...
إنني مطارد منذ سنوات بسبب جريمة لم أرتكبها.. لكنني إرتكبت بعد ذلك أشياء سيئة كثيرة
وما الذي ذكّرك بهذا الآن يا عم هادي؟
كل ما مر بنا خلال الأيام الماضية، خاصة أولئك الذين يضحّون من أجل آخرين لا يعرفونهم
صحيح أنني لم أوذ طفلا في حياتي، لكنني فعلت أشياء كثيرة سيئة
وأنا الآن أشمّ رائحة سيئة...
ماذا تعني؟
لابدّ أنها الضباع اللعينة.. سأذهب لأستطلع الأمر، وإذا لم أعُد خلال عشر دقائق، اهربوا بسرعة، وليمسك كل منكم شعلة.



هذه الضباع اللعينة..لابد أنهم قريبة من هنا... يجب طردها بعيدا وإلآ هاجمتنا في أي لحظة.
ماهذا؟!
أنت؟ماذا تفعل هنا؟ كدت أن أطلق النار...
سآتي معك.. لن أتركك وحدك.
عُدْ!...أنت بلا خبرة في ذلك وسوف تعيقني... عد..لا أريد عطلة...إنهم يقتربون.
وبعد وقت قصير...
يا إلهي... لقد أُخِذْت على غرّة رغم حذري... فلأتراجع إلى الشجرة كي لا يحيطوا بي.
وقعت يا ماسيمبا..لا بُدّ مما ليس منه بُدّ.
جرررر!!
تعال أيها الوغد!!


هكذا... لن أصمد طويلا...
وأسد أيضا؟... هذا ما كان ينقصني.
هيا كلني... لا تعذبني بالإنتظار...
أخلص من ضباع تلتهمني ببطء إلى أسد يأكلني في قضمة واحدة!
وفي نفس الوقت...
لقد مضت أكثر من عشر دقائق.
لابدّ أن نبتعد من هنا كما قال لنا ماسيمبا.
إلى أين تذهبون؟
من؟... ماسيمبا؟!!
ثم... لا أظن أن العجوز صاحب الأسد كان هناك بالصدفة. يبدو لي أنه يرعانا ويتدخل وقت الضرورة.



وفي الصباح كان دخان نيرانهم يجذب أعداء أشد قوة.
ألم أقل لكم أنهم لن يستطيعون الإبتعاد
فلنقترب بحذر
تحركوا بحذر فالأوغندي ماهر جدا... أنا أعرفه جيدا
هذا الولد الأوغندي اللعين... هذه المرة سأسلخ فروة رأسه.
ششششش... ايقظي الآخرين معي بسرعة ولكن في هدوء. هناك مسلحون قادمون.
خذ حذرك ياعم هادي، فقد تجدهم فجأة خلفك، أنا أعرفهم، أخبث من الضباع
وبعد قليل...
لقد رحلوا منذ لحظات... ألم أقل لكم أنه لعين؟...
قد ساروا في هذا الاتجاه...
إذا كنا لم نلحق بهم فرصاصنا يمكنه أن يفعل ذلك.
رطاطاطا! طاطاطا! راك! راك!
الملاعين... لقد كشفونا...
واليأس أخطر...
ولكنهم يئسوا من أن يأسروننا ويبيعوننا.


وبعد ساعات من المطاردة...
لم يكونوا يائسين تماما... هه؟
المهم الآن... أين نحن؟ وإلى أين نحن ذاهبون؟
حسب الشمس... نحن نسير في اتجاه جنوب غرب... يعني نحو رواندا أو بوروندي.
نعم...؟ نعم؟... نعم...؟
وماذا في ذلك؟
يعني أننا هربنا من جمرة لنقع في جهنم... إنها منطقة حروب قطيعة... نزاع عرقي... صراع بين قبائل التوتسي والهوتو، والقتلى بمئات الآلاف...
قتلى بمئات الآلاف؟ ومن أبناء البلد الواحد؟ إنكم تبالغون بالتأكيد.
للأسف إنهم لا يبالغون...
ألا... ألا يمكننا العودة؟
العودة؟... نعم... ولم لا...؟
بالتأكيد... فأمامنا جيوش التوتسي والهوتو ولكن خلفنا حروب في السودان والصومال وأوغندا و زائير فقط
وإيرتريا وليبيريا، وسييراليون و ...
كفى كفى... إنها حرب عالمية لا يدري بها أحد... وما العمل الآن؟
رواندا أخطر، لكنها هي الأقرب وفيها بعثات كثيرة للصليب الأحمر... يمكننا اللجوء إليها
إذن هيا بنا... وليكن ما يكون.



وبعد يومين من السير في الأحراش...
الشمس ستغرب علينا مرة أخرى ولبس هناك أية رواندا أو غيرها.
اطمأني... إما أننا في رواندا فعلا أو أننا قريبون منها جدا.
ياه!... هذه شجرة مانجو. سأصعد وأحضر بعضاً من ثمارها.
باليت.. كدنا نهلك جوعا.
مالك ياعم هادي تبدو حزينا؟
يوما ما سينتهي كل هذا وتعودون لأهلكم وبيوتكم أما أنا فليس لي مكان أعود إليه، بل إنني فقدت عملي الذي هو سكني.
أنت بحّار بارع، يمكنك أن تأتي معنا... الصيد رائع في بحيرة ناصر
وليس هناك أجمل من الحياة في أوغندا على ضفاف بحيرة أوكريوي. وليس هناك من يعرفك في أوغندا
بحيرة ماذا؟ ليس هناك في أفريقيا بحيرة بهذا الإسم.
أوكريوي... تلك التي سماها الأوروبيون بحيرة فيكتوريا
وفي الصباح الباكر...
فلينهض الجميع... هذا نهار رائع!!
وبعد قليل...
هششش...
ماذا هناك أيها الرادار؟
أسمع صوت شيء ما.



وبعد وقت قصير...
إنك حقًا رادار... كيف سمعت صوت المياه من تلك المسافة البعيدة؟
هبة الحياة لبعض مخلوقاتها... المهم أننا وصلنا... هذه بحيرة كيفو... إننا في رواندا.
لكنني رأيت مع أبي على الخرائط أن بحيرة كيفو تقع بين رواندا وزائير. في أي جانب نحن؟
الشمس خلفنا في الصباح، والبحيرة أمامنا.. نحن في الجانب الشرقي منها... نحن في رواندا أو على حدودها.
وإذا كنا في زائير فلماذا لا نبقى فيها؟
سنذهب إلى أقرب بعثة للصليب الأحمر، سواء في زائير أو في رواندا... في جوما أو في جيسين
نعم؟ وما هي جوما و جـ... جيـ... هذه؟
جوما أقصى شرق زائير، على الحدود مع رواندا وجيسين أقصى غرب رواندا على ضفاف كيفو.
أي أنهما قريبتان من هنا وفيهما بعثتان للصليب الأحمر وهذا ما نريده.
هذا إذا كنت أعرف أين نحن الآن منهما
للأسف سنضطر لترك الشاطئ والسير في الأحراش. لا يمكننا أن نبقى في منطقة مكشوفة هكذا مدة طويلة
وبعد حين...
مضى وقت وليس هناك جوما أو جيسين
ولم نقابل حتى جروًا لنسأله.
سأصعد هذا التل لأرى...
يا إلهي... ما هذا؟!



يا إلهي.. ما كل هذا؟!
إنهم لاجئون!
إلى أين هم ذاهبون؟ إنهم يسيرون عكس اتجاهنا...
يبدو أننا لن نجد أحداً في رواندا... هل هم ذاهبون إلى جوما أم جيسيني؟
بدأت أتشاءم بالنسبة لجوما وجيسيني.. سأذهب لأستطلع الأمر.
إلى أين أنتم ذاهبون يا أخي؟
إلى جوما... نحن قادمون من جيسيني... فالمسلحون يقتربون منها والوضع مريع ومخيف
والصليب الأحمر؟
المكتب في جيسني لازال مفتوحا ويعمل ولكن ماذا سيفعلون ....
أمام المسلحين الذين يهاجموننا ويهاجموننا... لقد هُدمت دارنا ولم يعد لنا مكان نذهب إليه
سوى خيام الصليب الأحمر. لكني مضطر للرحيل خوفاً على إخوتي المساكين.
لقد فقدت أبي وأمي واثنين من إخوتي في حرب لا أعرف لها سببا، ولم يبق لي سوى أختي هذه والرضيع


إنهم قادمون من جيسيني وذاهبون إلى جوما
ونحن... إلى أين سنتجه؟
جيسيني هي الأقرب، ولكن يبدو أن جوما أكثر أمنًا.
فلنذهب للأقرب حتى لو كان جحيم لم أعد قادر على تحمل بعد هذا.
ولا أنا...
نحن لم نقطع كل هذا، لكي نلقي بأنفسنا في الجحيم هنا
المخاطر موجودة في كل مكان، وحتى هؤلاء الذاهبين إلى جوما تحيط بهم المخاطر.
فلنذهب إلى جيسيني وليكن ما يكون!
إذن ينبغي أولا أن ندفن الأسلحة
أجل... فإما ستخيف هؤلاء أو ستجلب لنا أعداء.
وبعد ساعات...
ما كل هذا؟
لا أظن أنهم سيهتمون بنا... إنهم يحتاجون مساعدتنا.
إذا جاء المسلحون إلى هنا فستكون مذبحة بشعة بالفعل.


لقد مررتم بمخاطر كثيرة، لكن الوضع هنا أيضا خطير، فالمسلحون على الأبواب
وحولنا، في الخيام حوالى مليون لاجئ غير الذين رحلوا إلى الدول المجاورة.
إنهم يرحلون خوفا من اقتراب المسلحين... والمشكلة أننا لا نستطيع الوصول إليهم حيث يرحلون.
ومعهم حق في خوفهم. فنحن أنفسنا نتعرض لهجمات هؤلاء المسلحين الذين لا يحترمون شارات المنظمات الإنسانية.
إلى هذا الحد؟!
وأكثر...
فنحن لا نتعرض لسرقة المعدات والمواد الغذائية والطبية فقط، بل والقتل أيضا.
للأسف، فقد قتلوا زميلين لنا الأسبوع الماضي واضطررنا لترحيل الباقين خوفا على حياتهم ولم يبق سواي أنا وبايونجو
هل معنى ذلك أنكم ستغلقون المكتب هنا؟
للأسف قد نضطر إلى ذلك.
وما العمل؟
بالنسبة لكم؟ يمكننا أن نرسلكم إلى كينيا ومن هناك إلى مصر
أنا ذاهب غدا إلى اوغندا كي أقود قافلة مساعدات. يمكنكم أن تأتوا معي وهناك نتدبر أمر نقلكم إلى كينيا
أما الآن، فلتستريحوا قليلا، سوف نتحرك بعد ساعات إلى بايوما على الحدود الأوغندية لنبيت هناك الليلة.
I C
R C



إن حركة اللاجئين تزداد في الليل ، فالظلام فيه بعض الأمان
ولكن أليست هذه طريقة شاقة لإحضار المساعدات؟
هذه الطريقة الوحيدة لإحضار المساعدات فليست هناك مطارات في المنطقة ...
كما أن إسقاط المساعدات بالطائرات معناه أن يستولي المسلحون عليها ...
وبعد رحيل الزملاء ، لم يعد هناك من يقوم بهذه المهمّة غيري .
الأحراش كثيفة في هذه المنطقة
هذا معناه الأمان التام أو الخطر الداهم .
عموماً لقد اقتربنا من بابوما .
كراك ! رططططا ! طاطا ! ااااي !
ماهذا ؟!!



بيييييب!!
لقد أصابوا بايونجو... لقد قتلوه!!...
وبعد لحظات...
لا أحد يتحرك!!
هذا الرجل أتعبنا كثيرا... إنه ثعلب، دائما ما يغير خط سيره. لكننا اصطدناه هذه المرة
هذه الشارة ستنفعنا كثيرا. سندخل أوغندا ونستولي على القافلة دون أن نطلق رصاصة واحدة هاهاها.
وبعد ساعات داخل الحدود الأوغندية
هؤلاء الأطفال سينفعوننا كرهائن إذا تأزمت الأمور.
ماذا نستطيع أن نفعل معهم إنهم ثلاثة مسلحين ونحن بلا حتى حجر
وبعد قليل...
اختبئوا الآن في الأحراش ولا تظهروا حتى تتوقف القافلة تماما.
حتى أنا يجب أن أخفي مسدسي... لا ينبغي أن يشاهدوا معي سلاحا وإلا شكوا وهربوا.
وأنتم!... إذا تحرك أحد منكم سأقتله.
ماذا نفعل يا عم هادي؟
هشش... هذه فرصتنا الوحيدة


قد حضروا فعلاً
أريد ثانية واحدة فقط.
مسدسه أولاً.
تحرك معي وإلاّ فجرت رأسك
آ...
طا! طا! رطططا!
أوقفوا إطلاق النار وإلاّ مزّقته!!
أوقفوا إطلاق النار!!!
رطططا!
طا! طا!
؟!
ما هذا؟ إطلاق رصاص؟ يبدو أننا نتعرض لكمين.
كمين... كمين...!!
إنه كمين!!!
؟!
اييييييي
من منكم يستطيع القيادة؟
أنا!!
فلنلحق بالقافلة التي فرت.


لابد أن نلحق بهم، هذه المساعدات يحتاجها اللاجئون في رواندا.
أسرع ... أسرع لابد أن نلحق بهم
نعم هكذا ... هكذا، يمكن أن نلحقهم... واووووو !!!
وبعد دقائق...
انتظروا... لسنا قراصنة، انتظروا!!
قفوا...قفوا وسنشرح لكم كل شيء. لقد كنا مع بايونجو وحاولوا خطفنا.
وبعد قليل...
هذا ما حدث
يمكننا أن نقودكم من أوغندا إلى رواندا مرة أخرى أعرف طرقا آمنة.


انزل أيها القاتل... انزل أيها الجبان.
هذا الرجل سيحاكم لقتله بابونجو الطيب
يجب محاكمته في رواندا ليعرف الناس مصير قاتل بابونجو.
ستحبس مع المساعدات التي اردت خطفها كلها إذا استطعت
وبعد يوم كانوا في بابوميا مرة أخرى.
هذه هي بابوميا.
إنك حقا ماهر يا ماسيمبا... شكرا لك، شكرا لكم جميعا
وفي الصباح التالي انطلقوا داخل أوغندا
هل نتركنا في أوغندا يا ماسيمبا؟
هاهاها... وهل تعرفون الطريق إلى كينيا وحدكم؟
كما أنني لابد أن أرى كالا مرة أخرى.
وبعد وقت...
هذه بحيرة فيكتوريا... عفوا يا ماسيمبا... أقصد أوكريوي.



وفي بحيرة فيكتوريا...
وهل لابدّ أن يحرس السيارة أحدنا؟ ولماذا أصابتني أنا القرعة؟
هذه أول مرة أشعر بالأمان منذ أن تحطم مركبنا.
لا تتفاءلي هكذا، فالمنطقة مليئة بالوحوش
وحوش؟ أيّة وحوش؟
هاهاها!... تعالي... لا تخافي!...
لن يأتوا الآن. هاهاها.
وبعد ساعات...
لولاك ما خرجنا من البحيرة حتى الآن
هذا أفضل، حتى نصل إلى كينيا مبكرا!... بالمناسبة، متى نصل إلى كينيا؟
إذا لم أكن مخطئا، نحن الآن في براري كينيا
كان عليك أن تخبرنا حتى نحتفل
عموما سنحتفل على طريقتي
كفى.. كفى... إنك تخيفهم.
هذه أول مرة نعبر فيها من بلد إلى بلد دون مشاكل.


أرأيت يا مارك؟ كما أخفت غزلان هاهي الخراتيت تخيفنا.
نحن لا نخشى الخراتيت يا ماري، وسوف نلعب معهم قليلا.
الحمدلله.. لقد توقفا
سوف يعودان...
إذن دعونا نلهو معهم قليلا
أخ خ... ماهذا؟
ماذا حدث؟
لقد فرغ البنزين
ماذا نقول؟
إنهما قادمان...
لقد هلكنا!...
كنت تضحك منذ قليل
وما العمل؟
فلنعدو بسرعة ونحتمي بتلك الأشجار.
أرجو ألا يكتشفوا مكاننا.
لقد اكتشفا مكاننا...
فعلا إنهما قادمان
فلنصعد هذه الصخرة



قفوا... قفوا أيها الطيبون!
تراجعوا أيها الطيبون... لا داعي لإيذاء بعضنا البعض.
ماهذا أيضا؟
إنه هو!!...
إنهم يغيظوننا.
وفي المساء...
وهكذا، خرجنا في نزهة بالمركب فوجدنا أنفسنا في براري كينيا.
لكن مامررنا به حتى هنا يفوق الخيال.
أعرف ما مررتم به من صعاب وما شاهدتموه من مآسي.
الحال سيء جداً في إفريقيا هذه الأيام
ليس في إفريقيا فقط، ولكن المشكلة أن الأسلحة بلغت حداً يهدد البشرية كلها


فهناك دول تمتلك أسلحة نووية تكفي لتدمير الأرض عشرات المرات .
ثم ان الإنسان وضع قوانين واتفاقيات للحروب، لكن لا أحد يحترمها... مثل عدم الإعتداء على المدنيين
مثلا كان المدنيون ١٪ من ضحايا الحرب العالمية الأولى، والآن يمثلون ٩٠٪ من ضحايا أيّ حرب...
وفي رواندا قُتل نحو مليون إنسان في ثلاثة أشهر فقط، وشرد ثلاثة ملايين من الأهالي
لقد شاهدنا بعضهم بالفعل و حالتهم سيئة وخطرة.
كل هذا حدث في دولة تعدادها ٩ملايين نسمة فقط
كل هذه الحروب بسبب اختلاف الأجناس والأعراق
وهذا أيضا أمر مضحك حتى البكاء
فالإنسان هو الإنسان في كل مكان ... وكل الأجناس اختلطت عبر التاريخ وهذا شيء معروف.
وإفريقيا بالذات فيها أكثر من خمسين دولة وليس فيها سوى أربعة أجناس فقط
هيا، هيا لتناموا... كان بودّي أن أحكي لكم حكايات إفريقية جميلة قبل النوم... لكن الحكايات الإفريقية الآن مفزعة
ومع فجر اليوم التالي...
ماسيمبا... ياماسيمبا... اصح.. هناك صوت مريب...
...ooooo



* قبائل من الرعاة الرحل في كينيا وتنزانيا، يتميز أفرادها بالقامة الطويلة الرشيقة وشجاعة نادرة في مبارزة الأسود.


وبعد ساعات من السير...
هاهو منزل حارس المحمية
أخيراً!!
وبعد لحظات
ولكن لماذا كينيا ؟... تنزانيا كانت الأقرب لكم وأنتم في روانداً... لم يكن هناك داعٍ لعبور أوغندا كلها...
أنا لا أعرف الطريق إلى تانزانيا... أنا أوغندي وقد قدتهم في الطريق الذي أعرفه.
ثم أن لي صديقة جريحة هنا وأردت أن أراها...
آه... فهمت...
ولكن ستبيتون الليلة هنا حتى يأتي زميلي في الصباح فأنا أخشى أن ينتهز الصيادون فرصة غيابي
لكن للأسف ليست لدي أسرّة كافية هنا.
لا يهمّ فقد تعودنا
والنوم هنا أفضل من النوم في العراء
وحلّ المساء...
...لا بد لي أن أجد وسيلة
لا يمكن أن أعود معهم.
صديقنا مهموم ولكن قلبه الطيب سيهديه إلى حل.



وفي الصباح في مستشفى لوبيدينج
كالا!...
كالا... كيف حالك؟
هل أنت بخير؟
متى تخرجين؟
لقد أُنقذت بأعجوبة، والفضل يرجع لكم
لقد افتقدتكم جميعا وتمنيت أن أراكم أكثر مما تمنيت العودة للوطن
الوطن هو الأصدقاء.
ألا تحتاج لحارس غابات آخر معك؟
بلى إذا كان في شجاعتك
سنتحدث في ذلك فيما بعد
ذهب الأطفال إلى المطار للعودة إلى مصر، فيما عدا هادي الذي بقي يحرس الغابات...
وماسيميا الذي بقي مع كالا وكانت لهما قصة أخرى
النهاية

مغامرات الإنسان المصوّرة

صدر منها

■ طبول على ضفاف البحيرات ■

رسوم : **برجي** سيناريو : **جمال صدقي**

تحت الطبع

■ في حدائق الشيطان ■

رسوم : **برجي** سيناريو : **طارق يوسف**

اللجنة الدولية للصليب الأحمر

المكتب الإقليمي للإعلام والنشر

١ ميدان السد العالي (فيني سابقًا) الدقي، القاهرة

تليفون : ٢٤ ٨٦ ٣٤٨ (٢٠٢) + + . فاكس : ٨٧ ٧٥ ٣٣٧ (٢٠٢) + +

في هذا العمل المرسوم المشوّق، تبدأ الأحداث بمشاهد هادئة يقدم لنا فيها الرسام «برجي» مركبًا شراعيًا يتهادى بسلام على صفحة مياه بحيرة ناصر في أسوان مصر، حاملاً البحارين الصغيرين المصريين «سليم» و «شندي» وضيفيهما الصغيرين الأوربيين «مارك» و «ماري»، في نزهة قبل غروب الشمس.

وسرعان ما تتلاحق الأحداث، وتتحول هذه النزهة النيلية الهادئة إلى صخب وحركة لا تخلو من عنف، تتشابك مواقفها حتى تصل إلى منطقة البحيرات الكبرى في وسط أفريقيا. وتختلط في المشاهد صيحات حيوانات الغابة من أسود وخراتيت وضباع وغزلان وقردة متوحشة، بصرخات المجرمين والخارجين على القوانين والأعراف المحلية والدولية، وبقعقعة الأسلحة وانفجارات القذائف، وبهدير موجات اللاجئين الفارين من المجازر الجماعية وأعمال العنف والاشتباكات المسلحة والمجاعات.

دار الشروق




ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net